نفحات إيمانية عقائدية

يستشعرها أهل السنة والجماعة

في ليالي العشر ويوم عرفة

كتبه

م. منتصر بن عبد الفتاح بن ظاهر بيبرس

بسم الله الرحمن الرحيم

نفحات إيمانية عقائدية يستشعرها أهل السنة والجماعة في ليالي العشر ويوم عرفة (١)

جاء في «صحيح مسلم»: قَالَتْ عَائِشَةُ: إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «**مَا مِنْ يَوْمٍ أَكْثَرَ مِنْ أَنْ يُعْتِقَ اللَّهُ فِيهِ عَبْدًا مِنَ النَّارِ مِنْ يَوْمِ عَرَفَةَ، وَإِنَّهُ لَيَدْنُو، ثُمَّ يُبَاهِي بِهِمُ الْمَلَائِكَةَ، فَيَقُولُ: مَا أَرَادَ هَؤُلَاءِ؟**».

يستشعر بهذا الحديث أهل السنة والجماعة المتبعون للكتاب والسنة بفهم سلف الأمة: عظمة الله ﷻ، وإثبات صفة النزول كما تليق به؛ دون تعطيل أو تكييف أو تمثيل أو تشبيه أو تأويل أو تفويض للمعنى.

وهو دنو يليق بجلاله، وكما جاء في «صحيح البخاري» عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه: أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «**يَنْزِلُ رَبُّنَا تبارك وتعالى كُلَّ لَيْلَةٍ إِلَى السَّمَاءِ الدُّنْيَا، حِينَ يَبْقَى ثُلُثُ اللَّيْلِ الآخِرُ، يَقُولُ: مَنْ**

يَدْعُونِي فَأَسْتَجِيبَ لَهُ؟ مَنْ يَسْأَلُنِي فَأُعْطِيَهُ؟ مَنْ يَسْتَغْفِرُنِي فَأَغْفِرَ لَهُ؟».

قال ابن بطة العكبري في «اَلشَّرْحِ وَالْإِبَانَةِ عَلَى أُصُولِ اَلسُّنَّةِ وَالدِّيَانَةِ» (الإبانة الصغرى):

"وَأَنَّ اَللَّهَ ﷻ يَنْزِلُ كُلَّ لَيْلَةٍ إِلَى سَمَاءِ اَلدُّنْيَا.

لَا يُقَالُ لِهَذَا كُلِّهِ: كَيْفَ؟ وَلَا: لِمَ؟

بَلْ تَسْلِيمُهَا لِلْقُدْرَةِ وَإِيمَانًا بِالْغَيْبِ، كُلَّمَا عَجَزَتْ اَلْعُقُولُ عَنْ مَعْرِفَتِهِ فَالْعِلْمُ بِهِ وَعَيْنُ اَلْهِدَايَةِ فِيهِ اَلْإِيمَانُ بِهِ وَالتَّسْلِيمُ لَهُ وَتَصْدِيقُ رَسُولِ اَللَّهِ ﷺ فِيمَا قَالَهُ، هُوَ أَصْلُ اَلْعِلْمِ وَعَيْنُ اَلْهِدَايَةِ، لَا تُضْرَبُ لِهَذِهِ اَلْأَحَادِيثِ وَمَا شَاكَلَهَا اَلْمَقَايِيسُ، وَلَا تُعَارَضُ بِالْأَمْثَالِ وَالنَّظَائِرِ".اهـ

قال الصابوني في «عقيدة السلف أصحاب الحديث»:

"ويُثبتُ أصحاب الحديث نزولَ الرّبِّ ﷻ كلَّ ليلةٍ إلى السّماءِ الدّنيا، مِن غير تشبيهٍ له بنزولِ المخلوقين، ولا تمثيلٍ ولا

تكييفٍ، بل يُثبتون ما أثبتَه رسولُ الله ﷺ، وينتهون فيه إليه، ويُمِرُّونَ الخبرَ الصّحيح الواردَ بذكرِه على ظاهرِه، ويَكِلُونَ علمَه إلى الله".ا هـ

قال شيخ الإسلام ابن تيمية في «شرح حديث النزول»:

"الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ.

أَمَّا الْقَائِلُ الْأَوَّلُ الَّذِي ذَكَرَ نَصَّ النَّبِيِّ ﷺ؛ فَقَدْ أَصَابَ فِيمَا قَالَ، فَإِنَّ هَذَا الْقَوْلَ الَّذِي قَالَهُ؛ قَدْ اسْتَفَاضَتْ بِهِ السُّنَّةُ عَنْ النَّبِيِّ ﷺ، وَاتَّفَقَ سَلَفُ الْأُمَّةِ وَأَئِمَّتُهَا وَأَهْلُ الْعِلْمِ بِالسُّنَّةِ وَالْحَدِيثِ عَلَى تَصْدِيقِ ذَلِكَ وَتَلَقِّيه بِالْقَبُولِ.

وَمَنْ قَالَ مَا قَالَهُ الرَّسُولُ ﷺ؛ فَقَوْلُهُ حَقٌّ وَصِدْقٌ، وَإِنْ كَانَ لَا يَعْرِفُ حَقِيقَةَ مَا اشْتَمَلَ عَلَيْهِ مِنْ الْمَعَانِي؛ كَمَنْ قَرَأَ الْقُرْآنَ وَلَمْ يَفْهَمْ مَا فِيهِ مِنْ الْمَعَانِي؛ فَإِنَّ أَصْدَقَ الْكَلَامِ كَلَامُ اللَّهِ وَخَيْرَ الْهَدْيِ هَدْيُ مُحَمَّدٍ ﷺ.

وَالنَّبِيُّ ﷺ قَالَ هَذَا الْكَلَامَ وَأَمْثَالَهُ عَلَانِيَةً، وَبَلَّغَهُ الْأُمَّةَ

تَبْلِيغًا عَامًّا لَمْ يَخُصَّ بِهِ أَحَدًا دُونَ أَحَدٍ، وَلَا كَتَمَهُ عَنْ أَحَدٍ، وَكَانَتْ الصَّحَابَةُ وَالتَّابِعُونَ تَذْكُرُهُ وَتَأْثُرُهُ وَتُبَلِّغُهُ وَتَرْوِيهِ فِي الْمَجَالِسِ الْخَاصَّةِ وَالْعَامَّةِ، وَاشْتَمَلَتْ عَلَيْهِ كُتُبُ الْإِسْلَامِ الَّتِي تُقْرَأُ فِي الْمَجَالِسِ الْخَاصَّةِ وَالْعَامَّةِ: كَـ «صَحِيحَيْ الْبُخَارِيِّ وَمُسْلِمٍ» وَ«مُوَطَّأِ مَالِكٍ» وَ«مُسْنَدِ الْإِمَامِ أَحْمَدَ» وَ«سُنَنِ أَبِي دَاوُد» وَ«التِّرْمِذِيِّ» وَ«النَّسَائِيِّ»، وَأَمْثَالِ ذَلِكَ مِنْ كُتُبِ الْمُسْلِمِينَ.

لَكِنَّ مَنْ فَهِمَ مِنْ هَذَا الْحَدِيثِ وَأَمْثَالِهِ مَا يَجِبُ تَنْزِيهُ اللَّهِ عَنْهُ كَتَمْثِيلِهِ بِصِفَاتِ الْمَخْلُوقِينَ وَوَصْفِهِ بِالنَّقْصِ الْمُنَافِي لِكَمَالِهِ الَّذِي يَسْتَحِقُّهُ؛ فَقَدْ أَخْطَأَ فِي ذَلِكَ، وَإِنْ أَظْهَرَ ذَلِكَ مُنِعَ مِنْهُ، وَإِنْ زَعَمَ أَنَّ الْحَدِيثَ يَدُلُّ عَلَى ذَلِكَ وَيَقْتَضِيهِ فَقَدْ أَخْطَأَ -أَيْضًا- فِي ذَلِكَ.

فَإِنَّ وَصْفَهُ ﷻ فِي هَذَا الْحَدِيثِ بِالنُّزُولِ هُوَ كَوَصْفِهِ بِسَائِرِ الصِّفَاتِ؛ كَوَصْفِهِ بِالِاسْتِوَاءِ إلَى السَّمَاءِ وَهِيَ دُخَانٌ وَوَصْفِهِ بِأَنَّهُ

خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ
وَوَصْفِهِ بِالْإِتْيَانِ وَالْمَجِيءِ فِي مِثْلِ قَوْله تعَالَى: ﴿هَلۡ يَنظُرُونَ
إِلَّآ أَن يَأۡتِيَهُمُ ٱللَّهُ فِي ظُلَلٖ مِّنَ ٱلۡغَمَامِ وَٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ﴾[البقرة:٢١٠]،
وَقَوْلِهِ: ﴿هَلۡ يَنظُرُونَ إِلَّآ أَن تَأۡتِيَهُمُ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ أَوۡ يَأۡتِيَ رَبُّكَ أَوۡ يَأۡتِيَ
بَعۡضُ ءَايَٰتِ رَبِّكَ﴾[الأنعام:١٥٨]، وَقَوْلِهِ: ﴿وَجَآءَ رَبُّكَ وَٱلۡمَلَكُ صَفّٗا
صَفّٗا ٢٢﴾[الفجر:٢٢]، وَكَذَلِكَ قَوْله تعَالَى: ﴿خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ
وَٱلۡأَرۡضَ وَمَا بَيۡنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٖ ثُمَّ ٱسۡتَوَىٰ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ﴾[الفرقان:٥٩
وغيرها]، وَقَوْلِهِ: ﴿وَٱلسَّمَآءَ بَنَيۡنَٰهَا بِأَيۡيْدٖ﴾[الذاريات:٤٧]، وَقَوْلِهِ:
﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِي خَلَقَكُمۡ ثُمَّ رَزَقَكُمۡ ثُمَّ يُمِيتُكُمۡ ثُمَّ يُحۡيِيكُمۡۖ هَلۡ مِن
شُرَكَآئِكُم مَّن يَفۡعَلُ مِن ذَٰلِكُم مِّن شَيۡءٖ﴾[الروم:٤٠]، وَقَوْلِهِ: ﴿يُدَبِّرُ
ٱلۡأَمۡرَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ إِلَى ٱلۡأَرۡضِ ثُمَّ يَعۡرُجُ إِلَيۡهِ﴾[السجدة:٥]، وَأَمْثَالِ
ذَلِكَ مِنْ الْأَفْعَالِ الَّتِي وَصَفَ الله -تعالى- بِهَا نَفْسَهُ الَّتِي تُسَمِّيهَا

النُّحَاةُ: أَفْعَالًا مُتَعَدِّيَةً، وَهِيَ غَالِبُ مَا ذَكَرَ فِي الْقُرْآنِ أَوْ يُسَمُّونَهَا: لَازِمَةً لِكَوْنِهَا لَا تَنْصِبُ الْمَفْعُولَ بِهِ بَلْ لَا تَتَعَدَّى إِلَيْهِ إِلَّا بِحَرْفِ الْجَرِّ: كَالِاسْتِوَاءِ إِلَى السَّمَاءِ وَعَلَى الْعَرْشِ وَالنُّزُولِ إِلَى السَّمَاءِ الدُّنْيَا وَنَحْوِ ذَلِكَ».اهـ

وقال: "وَقَدْ بَسَطْنَا الْكَلَامَ عَلَى هَذِهِ الْأَحَادِيثِ وَمَقَالَاتِ النَّاسِ فِي هَذَا الْمَعْنَى فِي «جَوَابِ الْأَسْئِلَةِ الْمِصْرِيَّةِ عَلَى الْفُتْيَا الحموية»، فَهَذَا قُرْبُ الرَّبِّ نَفْسِهِ إِلَى عَبْدِهِ وَهُوَ مِثْلُ نُزُولِهِ إِلَى السَّمَاءِ الدُّنْيَا.

وَفِي الْحَدِيثِ الصَّحِيحِ: «**إِنَّ اللَّهَ يَدْنُو عَشِيَّةَ عَرَفَةَ**» الْحَدِيثَ، فَهَذَا الْقُرْبُ كُلُّهُ خَاصٌّ، وَلَيْسَ فِي الْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ قَطُّ قُرْبُ ذَاتِهِ مِنْ جَمِيعِ الْمَخْلُوقَاتِ فِي كُلِّ حَالٍ؛ فَعُلِمَ بِذَلِكَ بُطْلَانُ قَوْلِ الْحُلُولِيَّةِ؛ فَإِنَّهُمْ عَمَدُوا إِلَى الْخَاصِّ الْمُقَيَّدِ فَجَعَلُوهُ عَامًّا مُطْلَقًا؛ كَمَا جَعَلَ إِخْوَانُهُمْ "الِاتِّحَادِيَّةُ" ذَلِكَ فِي مِثْلِ قَوْلِهِ:

«**كُنْت سَمْعَهُ**»، وَفِي قَوْلِهِ: «**فَيَأْتِيهِمْ فِي صُورَةٍ غَيْرِ صُورَتِهِ**»، وَإِنَّ اللَّهَ قَالَ عَلَى لِسَانِ نَبِيِّهِ: «**سَمِعَ اللَّهُ لِمَنْ حَمِدَهُ**»".ا هـ

قال الإمام ابن قدامة في «لمعة الاعتقاد»:

(ذكر بعض أحاديث الصفات):

ومن السنة: قول النبي ﷺ: «**يَنْزِلُ رَبُّنَا تَبَارَكَ وَتَعَالَى كُلَّ لَيْلَةٍ إِلَى السَّمَاءِ الدُّنْيَا**»".ا هـ

قال الشيخ ابن عثيمين شارحًا لكلام ابن قدامة:

"الصفة العاشرة: النزول:

نزول الله إلى السماء الدنيا من صفاته الثابتة له بالسنة وإجماع السلف.

قال النبي ﷺ: «**يَنْزِلُ رَبُّنَا إِلَى السَّمَاءِ الدُّنْيَا حِينَ يَبْقَى ثُلُثُ اللَّيْلِ الْآخِرُ، فَيَقُولُ: مَنْ يَدْعُونِي فَأَسْتَجِيبَ لَهُ؟...**» الحديث متفق عليه.

وأجمع السلف على ثبوت النزول لله.

فيجب إثباته له؛ من غير تحريف ولا تعطيل ولا تكييف ولا تمثيل، وهو نزول حقيقي يليق بالله.

وفسره أهل التعطيل بنزول أمره أو رحمته أو ملك من ملائكته، ونرد عليهم بما سبق في القاعدة الرابعة، وبوجه رابع: أن الأمر ونحوه لا يمكن أن يقول من يدعوني فأستجيب له... إلخ».ا هـ

وجاء في «المنظومة الحائية» لابن أبي داود:

"قل: ينزل الجبار في كل ليلة

بلا كيف جل الواحد المتمدح

إلى طبق الدنيا يمن بفضله

فتفرج أبواب السماء وتفتح

يقول: ألا مستغفر يلقَ غافرًا

ومستمنح خيرًا ورزقًا فيمنح

روى ذاك قوم لا يرد حديثهم

ألا خاب قوم كذبوهم وقبحوا".ا هـ

قال شيخ الإسلام ابن تيمية في «قصيدته اللامية»:

"والمؤمنون يرون حقًّا ربهم

وإلى السماء بغير كيف ينزل"

قال السفاريني في «قصيدته»:

"وعينه وصفة النزول وخلقه فاحذر من النزول

فسائر الصفات والأفعال قديمة لله ذي الجلال

لكن بلا كيف ولا تمثيل رغمًا لأهل الزيغ والتعطيل

فمرها كما أتت في الذكر من غير تأويل وغير فكر".ا هـ

نفحات إيمانية عقائدية يستشعرها أهل السنة والجماعة
في ليالي العشر ويوم عرفة (٢)

في حديث النبي ﷺ: «مَا مِنْ يَوْمٍ أَكْثَرَ مِنْ أَنْ يُعْتِقَ اللَّهُ فِيهِ عَبْدًا مِنَ النَّارِ مِنْ يَوْمِ عَرَفَةَ، وَإِنَّهُ لَيَدْنُو، ثُمَّ يُبَاهِي بِهِمُ الْمَلَائِكَةَ، فَيَقُولُ: مَا أَرَادَ هَؤُلَاءِ؟». رواه مسلم.

فيه: إثبات صفة العلو لله العلي العظيم وإثباتها دون تأويل ولا تعطيل ولا تمثيل ولا تشبيه.

وهي صفة ثابتة بالعقل والفطرة والسمع (الكتاب والسنة).

قال الإمام ابن أبي العز الحنفي في «شرح العقيدة الطحاوية»:

"وَالنُّصُوصِ الْوَارِدَةِ الْمُتَنَوِّعَةِ الْمُحْكَمَةِ عَلَى عُلُوِّ اللَّهِ عَلَى خَلْقِهِ، وَكَوْنِهِ فَوْقَ عِبَادِهِ، الَّتِي تَقْرُبُ مِنْ عِشْرِينَ نَوْعًا:

...الثَّانِيَ عَشَرَ: التَّصْرِيحُ بِنُزُولِهِ كُلَّ لَيْلَةٍ إِلَى سَمَاءِ الدُّنْيَا.

وَالنُّزُولُ الْمَعْقُولُ عِنْدَ جَمِيعِ الْأُمَمِ إِنَّمَا يَكُونُ مِنْ عُلُوٍّ إِلَى سُفْلٍ".ا هـ

وقال الإمام ابن أبي العز الحنفي في «شرح العقيدة الطحاوية»:

"وَعُلُوُّهُ ﷻ كَمَا هُوَ ثَابِتٌ بِالسَّمْعِ، ثَابِتٌ بِالْعَقْلِ وَالْفِطْرَةِ.

أَمَّا ثُبُوتُهُ بِالْعَقْلِ، فَمِنْ وُجُوهٍ:

أَحَدُهَا: الْعِلْمُ الْبَدِيهِيُّ الْقَاطِعُ بِأَنَّ كُلَّ مَوْجُودَيْنِ؛ إِمَّا أَنْ يَكُونَ أَحَدُهُمَا سَارِيًا فِي الْآخَرِ قَائِمًا بِهِ كَالصِّفَاتِ، وَإِمَّا أَنْ يَكُونَ قَائِمًا بِنَفْسِهِ بَائِنًا مِنَ الْآخَرِ.

الثَّانِي: أَنَّهُ لَمَّا خلَقَ الْعَالَمَ؛ فَإِمَّا أَنْ يَكُونَ خلَقَهُ فِي ذَاتِهِ أَوْ خَارِجًا عَنْ ذَاتِهِ، وَالْأَوَّلُ بَاطِلٌ:

أَمَّا أَوَّلًا: فَبِالِاتِّفَاقِ.

وَأَمَّا ثَانِيًا: فَلِأَنَّهُ يَلْزَمُ أَنْ يَكُونَ مَحَلًّا لِلْخَسَائِسِ وَالْقَاذُورَاتِ -تَعَالَى اللَّهُ عَنْ ذَلِكَ عُلُوًّا كَبِيرًا!-.

وَالثَّانِي: يَقْتَضِي كَوْنَ الْعَالَمِ وَاقِعًا خَارِجَ ذَاتِهِ، فَيَكُونُ مُنْفَصِلًا، فَتَعَيَّنَتِ الْمُبَايَنَةُ، لِأَنَّ الْقَوْلَ بِأَنَّهُ غَيْرُ مُتَّصِلٍ بِالْعَالَمِ وَغَيْرُ مُنْفَصِلٍ عَنْهُ؛ غَيْرُ مَعْقُولٍ!

الثَّالِثُ: أَنَّ كَوْنَهُ تَعَالَى لَا دَاخِلَ الْعَالَمِ وَلَا خَارِجَهُ؛ يَقْتَضِي نَفْيَ وَجُودِهِ بِالْكُلِّيَّةِ، لِأَنَّهُ غَيْرُ مَعْقُولٍ؛ فَيَكُونُ مَوْجُودًا إِمَّا دَاخِلَهُ وَإِمَّا خَارِجَهُ.

وَالْأَوَّلُ بَاطِلٌ، فَتَعَيَّنَ الثَّانِي، فَلَزِمَتِ الْمُبَايَنَةُ.

وَأَمَّا ثُبُوتُهُ بِالْفِطْرَةِ؛ فَإِنَّ الْخَلْقَ جَمِيعًا بِطِبَاعِهِمْ وَقُلُوبِهِمُ السَّلِيمَةِ يَرْفَعُونَ أَيْدِيَهُمْ عِنْدَ الدُّعَاءِ، وَيَقْصِدُونَ جِهَةَ الْعُلُوِّ بِقُلُوبِهِمْ عِنْدَ التَّضَرُّعِ إِلَى الله -تعالى-.

وَذَكَرَ مُحَمَّدُ بْنُ طَاهِرٍ الْمَقْدِسِيُّ: أَنَّ الشَّيْخَ أَبَا جَعْفَرٍ الْهَمَذَانِيَّ حَضَرَ مَجْلِسَ الْأُسْتَاذِ أَبِي الْمَعَالِي الْجُوَيْنِيِّ -الْمَعْرُوفِ بِإِمَامِ الْحَرَمَيْنِ-، وَهُوَ يَتَكَلَّمُ فِي نَفْيِ صِفَةِ الْعُلُوِّ، وَيَقُولُ: كَانَ اللَّهُ وَلَا عَرْشَ، وَهُوَ الْآنَ عَلَى مَا كَانَ!

فَقَالَ الشَّيْخُ أَبُو جعْفَرٍ: أَخبِرْنَا يَا أُسْتَاذُ عَنْ هَذِهِ الضَّرُورَةِ الَّتِي نَجِدُهَا فِي قُلُوبِنَا؟ فَإِنَّهُ مَا قَالَ عَارِفٌ قَطُّ: يَا اللَّهُ، إِلَّا وَجَدَ فِي قَلْبِهِ ضَرُورَةً تَطْلُبُ الْعُلُوَّ، لَا يَلْتَفِتُ يَمْنَةً وَلَا يَسْرَةً، فَكَيْفَ نَدْفَعُ هَذِهِ الضَّرُورَةَ عَنْ أَنْفُسِنَا؟

قَالَ: فَلَطَمَ أَبُو الْمَعَالِي عَلَى رَأْسِهِ وَنَزَلَ! وَأَظُنُّهُ قَالَ: وَبَكَى!

وَقَالَ: حَيَّرَنِي الْهَمَذَانِيُّ حَيَّرَنِي!

أَرَادَ الشَّيْخُ: أَنَّ هَذَا أَمْرٌ فَطَرَ اللَّهُ عَلَيْهِ عِبَادَهُ، مِنْ غَيْرِ أَنْ يَتَلَقَّوْهُ مِنَ الْمُعَلِّمِينَ، يَجِدُونَ فِي قُلُوبِهِمْ طَلَبًا ضَرُورِيًّا يَتَوَجَّهُ إِلَى اللَّهِ وَيَطْلُبُهُ فِي الْعُلُوِّ". اهـ

قال الإمام ابن قدامة في «لمعة الاعتقاد»

"وقوله تعالى: ﴿ءَأَمِنتُم مَّن فِى ٱلسَّمَآءِ﴾[المُلك:١٦]، وقال للجارية: «أَيْنَ اللهُ؟»، قالت: في السماء، قال: «أَعْتِقْهَا فَإِنَّهَا مُؤْمِنَةٌ». رواه مالك بن أنس ومسلم وغيرهما من الأئمة.

وفيما نُقل من علامات النبي ﷺ وأصحابه في الكتب المتقدمة: "أنهم يسجدون بالأرض، ويزعمون أن إلههم في السماء"...

فهذا وما أشبهه مما أجمع السلف -رحمهم الله- على نقله وقبوله، ولم يتعرضوا لرده ولا تأويله ولا تشبيهه ولا تمثيله".ا هـ

قال الشيخ ابن عثيمين شارحًا لكلام ابن قدامة:

"الصفة الرابعة عشرة: العلو:

العلو من صفات الله الثابتة له بالكتاب والسنة وإجماع السلف.

قال الله -تعالى-: ﴿وَهُوَ ٱلۡعَلِيُّ ٱلۡعَظِيمُ ٢٥٥﴾[البقرة:٢٥٥ وغيرها].

وكان النبي ﷺ يقول في صلاته في السجود: «**سُبْحَانَ رَبِّيَ الأَعْلَى**». رواه مسلم من حديث حذيفة.

وأجمع السلف على ثبوت العلو لله.

فيجب إثباته له؛ من غير تحريف ولا تعطيل ولا تكييف ولا تمثيل.

وهو علو حقيقي يليق بالله.

وينقسم إلى قسمين:

أ- علو صفة، بمعنى: أن صفاته تعالى عليا ليس فيها نقص بوجه من الوجوه، ودليله ما سبق.

ب- وعلو ذات، بمعنى: أن ذاته تعالى فوق جميع مخلوقاته، ودليله مع ما سبق: قوله تعالى: ﴿ءَأَمِنتُم مَّن فِي ٱلسَّمَآءِ﴾[المُلك: ١٦].

وأجمع السلف على ثبوت علو الذات لله وكونه في السماء.

فيجب إثباته له؛ من غير تحريف ولا تعطيل ولا تكييف ولا تمثيل.

وقد أنكر أهل التعطيل كون الله بذاته في السماء، وفسروا معناها: أن في السماء ملكه وسلطانه ونحوه، ونرد عليهم بما سبق في القاعدة الرابعة، وبوجه رابع: أن ملك الله وسلطانه في السماء وفي الأرض أيضًا.

وبوجه خامس: وهو دلالة العقل عليه؛ لأنه صفة كمال.

وبوجه سادس: وهو دلالة الفطرة عليه؛ لأن الخلق مفطورون على أن الله في السماء".ا هـ

وعليه؛ فإن المسلم السني يستشعر معاني هذا الحديث العظيم في إثبات هذه الصفة لله ويثبت بقلبه وعقله وفطرته السليمة صفات الكمال والجلال والجمال الثابتة بالكتاب والسنة؛ لينال فضل هذا اليوم المبارك وهو يسير على منهج أهل السنة والجماعة على منهج السلف الصالح.

نفحات إيمانية عقائدية يستشعرها أهل السنة والجماعة في ليالي العشر ويوم عرفة (٣)

في حديث النبي ﷺ: «**مَا مِنْ أَيَّامٍ الْعَمَلُ الصَّالِحُ فِيهَا أَحَبُّ إِلَى اللَّهِ مِنْ هَذِهِ الْأَيَّامِ**»، يَعْنِي: أَيَّامَ الْعَشْرِ، قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، وَلَا الْجِهَادُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ؟ قَالَ: «**وَلَا الْجِهَادُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ، إِلَّا رَجُلٌ خَرَجَ بِنَفْسِهِ وَمَالِهِ فَلَمْ يَرْجِعْ مِنْ ذَلِكَ بِشَيْءٍ**». رواه أبو داود وصححه الألباني.

ففي هذا الحديث العظيم في هذا اليوم العظيم: يستشعر أهل السنة والجماعة: صفة المحبة لله العلي العظيم؛ كما يليق بالله سبحانه وتعالى، وإثباتها دون تأويل ولا تعطيل ولا تمثيل ولا تشبيه، ودون تحريفها وتأويلها بإرادة الإنعام؛ لأنه تأويل بلا دليل.

والكتاب والسنة أثبتوا هذه الصفة لله كما يليق به سبحانه وتعالى، قال الله -تعالى-: ﴿وَأَحۡسِنُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ١٩٥﴾[البقرة:١٩٥]،

وقال: ﴿فَسَوْفَ يَأْتِي ٱللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُۥٓ﴾[المائدة:٥٤].

وقول النبي ﷺ: «لَأُعْطِيَنَّ الرَّايَةَ غَدًا رَجُلًا يَفْتَحِ اللهُ عَلَى يَدَيْهِ، يُحِبُّ اللهَ وَرَسُولَهُ، وَيُحِبُّهُ اللهُ وَرَسُولُهُ». متفق عليه.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية في «مجموع الفتاوى»:

"إنَّ الكتاب والسنة وإجماع المسلمين أثبتت محبة الله لعباده المؤمنين ومحبتهم له؛ كقوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَشَدُّ حُبًّا لِّلَّهِ﴾[البقرة:١٦٥]، وقوله: ﴿يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُۥٓ﴾[المائدة:٥٤]، وقوله: ﴿أَحَبَّ إِلَيْكُم مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ﴾[التوبة:٢٤]...

وقد أجمع سلف الأمة وأئمتها على إثبات محبة الله -تعالى- لعباده المؤمنين ومحبتهم له.

وهذا أصل دين الخليل إمام الحنفاء عليه السلام" .اهـ

وقال الإمام ابن أبي العز الحنفي في «شرح العقيدة الطحاوية»:

"[اتَّخذَ اللَّهُ إِبْرَاهيمَ خَلِيلًا، وَكَلَّمَ مُوسَى تَكْلِيمًا]:

قَوْلُهُ: (ونَقُولُ: إِنَّ اللَّهَ اتَّخَذَ إِبْرَاهِيمَ خَلِيلًا، وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَى تَكْلِيمًا، إِيمَانًا وَتَصْدِيقًا وَتَسْلِيمًا) .

ش: قَالَ تَعَالَى: ﴿وَاتَّخَذَ اللَّهُ إِبْرَاهِيمَ خَلِيلًا ١٢٥﴾[النساء: ١٢٥]، وَقَالَ تَعَالَى: ﴿وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَىٰ تَكْلِيمًا ١٦٤﴾[النساء: ١٦٤].

الْخُلَّةُ: كَمَالُ الْمَحَبَّةِ.

وَأَنْكَرَتِ الْجَهْمِيَّةُ حَقِيقَةَ الْمَحَبَّةِ مِنَ الْجَانِبَيْنِ، زَعْمًا مِنْهُمْ أَنَّ الْمَحَبَّةَ لَا تَكُونُ إِلَّا لِمُنَاسَبَةٍ بَيْنَ الْمُحِبِّ وَالْمَحْبُوبِ، وَأَنَّهُ لَا مُنَاسَبَةَ بَيْنَ الْقَدِيمِ وَالْمُحْدَثِ تُوجِبُ الْمَحَبَّةَ!

وَكَذَلِكَ أَنْكَرُوا حَقِيقَةَ التَّكْلِيمِ -كَمَا تَقَدَّمَ-، وَكَانَ أَوَّلَ مَنِ ابْتَدَعَ هَذَا فِي الْإِسْلَامِ هُوَ: الْجَعْدُ بِنُخُرَاسَانَ بِهَا، ثُمَّ انْتَقَلَ ذَلِكَ إِلَى الْمُعْتَزِلَةِ أَتْبَاعِ عَمْرِو بْنِ عُبَيْدٍ، وَظَهَرَ قَوْلُهُمْ فِي أَثْنَاءِ خِلَافَةِ

الْمَأْمُونِ، حَتَّى امْتُحِنَ أَئِمَّةُ الإِسْلَامِ، وَدَعَوْهُمْ إِلَى الْمُوَافَقَةِ لَهُمْ عَلَى ذَلِكَ.

وَأَصْلُ هَذَا مَأْخُوذٌ عَنِ الْمُشْرِكِينَ وَالصَّابِئَةِ، وَهُمْ يُنْكِرُونَ أَنْ يَكُونَ إِبْرَاهِيمُ خَلِيلًا وَمُوسَى كَلِيمًا، لِأَنَّ الْخُلَّةَ هِيَ: كَمَالُ الْمَحَبَّةِ الْمُسْتَغْرِقَةِ لِلْمُحِبِّ؛ كَمَا قِيلَ:

قَدْ تَخَلَّلْتَ مَسْلَكَ الرُّوحِ مِنِّي

وَلِذَا سُمِّيَ الْخَلِيلُ خَلِيلًا

[مَحَبَّةُ اللَّهِ وَخِلَّتُهُ؛ كَمَا يَلِيقُ بِهِ سُبْحَانَهُ]:

وَلَكِنَّ مَحَبَّتَهُ وَخُلَّتَهُ كَمَا يَلِيقُ بِهِ تَعَالَى؛ كَسَائِرِ صِفَاتِهِ.

وَيَشْهَدُ لِمَا دَلَّتْ عَلَيْهِ الْآيَةُ الْكَرِيمَةُ: مَا ثَبَتَ فِي «الصَّحِيحِ» عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «**لَوْ كُنْتُ مُتَّخِذًا مِنْ أَهْلِ الْأَرْضِ خَلِيلًا لَاتَّخَذْتُ أَبَا بَكْرٍ خَلِيلًا، وَلَكِنَّ صَاحِبَكُمْ خَلِيلُ اللَّهِ**»، يَعْنِي: نَفْسَهُ.

وَفِي رِوَايَةٍ: «**إِنِّي أَبْرَأُ إِلَى كُلِّ خَلِيلٍ مِنْ خُلَّتِهِ، وَلَوْ كُنْتُ مُتَّخِذًا مِنْ أَهْلِ الْأَرْضِ خَلِيلًا لَاتَّخَذْتُ أَبَا بَكْرٍ خَلِيلًا**» .

وَفِي رِوَايَةٍ: «**إِنَّ اللَّهَ اتَّخَذَنِي خَلِيلًا كَمَا اتَّخَذَ إِبْرَاهِيمَ خَلِيلًا**» .

فَبَيَّنَ ﷺ أَنَّهُ لَا يَصْلُحُ لَهُ أَنْ يَتَّخِذَ مِنَ الْمَخْلُوقِينَ خَلِيلًا، وَأَنَّهُ لَوْ أَمْكَنَ ذَلِكَ لَكَانَ أَحَقَّ النَّاسِ بِهِ أَبُو بَكْرٍ الصِّدِّيقُ.

مَعَ أَنَّهُ ﷺ قَدْ وَصَفَ نَفْسَهُ بِأَنَّهُ يُحِبُّ أَشْخَاصًا؛ كَقَوْلِهِ لِمُعَاذٍ: «**وَاللَّهِ إِنِّي لَأُحِبُّكَ**»، وَكَذَلِكَ قَوْلُهُ لِلْأَنْصَارِ، وَكَانَ زَيْدُ ابْنُ حَارِثَةَ حِبَّ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، وَابْنُهُ أُسَامَةُ حِبَّهُ، وَأَمْثَالُ ذَلِكَ، وَقَالَ لَهُ عَمْرُو بْنُ الْعَاصِ: أَيُّ النَّاسِ أَحَبُّ إِلَيْكَ؟ قَالَ: «**عَائِشَةُ**»، قَالَ: فَمِنَ الرِّجَالِ؟ قَالَ: «**أَبُوهَا**»".اهـ

قال الشيخ ابن عثيمين شارحًا في «لمعة الاعتقاد»:

"الصفة السادسة: المحبة:

المحبة من صفات الله الثابتة له بالكتاب والسنة وإجماع السلف.

قال الله -تعالى-: ﴿فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ﴾[المائدة: ٥٤]، وقال النبي ﷺ يوم خيبر: «**لَأُعْطِيَنَّ الرَّايَةَ غَدًا رَجُلًا يُحِبُّ اللهَ وَرَسُولَهُ، وَيُحِبُّهُ اللهُ وَرَسُولُهُ**». متفق عليه.

وأجمع السلف على ثبوت المحبة لله، يحب ويحب.

فيجب إثبات ذلك حقيقة؛ من غير تحريف ولا تعطيل ولا تكييف ولا تمثيل.

وهي محبة حقيقية تليق بالله -تعالى-.

وقد فسرها أهل التعطيل بالثواب، والرد عليهم بما سبق في القاعدة الرابعة".اهـ

نفحات إيمانية عقائدية يستشعرها أهل السنة والجماعة في ليالي العشر ويوم عرفة (٤)

ما رواه البخاري: عَنْ طَارِقِ بْنِ شِهَابٍ:

قَالَتِ الْيَهُودُ لِعُمَرَ: إِنَّكُمْ تَقْرَءُونَ آيَةً لَوْ نَزَلَتْ فِينَا لاَتَّخَذْنَاهَا عِيدًا.

فَقَالَ عُمَرُ: إِنِّي لَأَعْلَمُ حَيْثُ أُنْزِلَتْ، وَأَيْنَ أُنْزِلَتْ، وَأَيْنَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ حِينَ أُنْزِلَتْ: يَوْمَ عَرَفَةَ، وَإِنَّا وَاللَّهِ بِعَرَفَةَ.

قَالَ سُفْيَانُ: وَأَشُكُّ كَانَ يَوْمَ الْجُمُعَةِ، أَمْ لَا، ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ﴾[المائدة:٣].

ففي هذا الأثر العظيم في هذا اليوم المبارك: يستشعر أهل السنة والجماعة: أن الدين كامل، وأن الابتداع والتشريع في الدين ما ليس منه: محرم، ومنهي عنه، وهو من البدع المحرمة.

قال ابن كثير في «تفسيره»:

"وقولـــــــه: ﴿ٱلۡيَوۡمَ أَكۡمَلۡتُ لَكُمۡ دِينَكُمۡ وَأَتۡمَمۡتُ عَلَيۡكُمۡ نِعۡمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلۡإِسۡلَٰمَ دِينٗا﴾[المائدة:٣]، هذه أكبر نعم الله ﷻ، على هذه الأمة؛ حيث أكمل تعالى لهم دينهم، فلا يحتـاجون إلى ديـن غيره، ولا إلى نبي غير نبيهم -صلوات الله وسلامه عليه-.

ولهذا جعله الله خاتم الأنبياء، وبعثه إلى الإنس والجن، فـلا حلال إلا ما أحله، ولا حرام إلا ما حرمه، ولا دين إلا ما شرعه، وكل شيء أخبر به فهو حق وصـدق، لا كـذب فيـه ولا خلـف، كما قال تعـالى: ﴿وَتَمَّتۡ كَلِمَتُ رَبِّكَ صِدۡقٗا وَعَدۡلٗا﴾[الأنعـام:١١٥]، أي: صدقًا في الأخبار، وعدلًا في الأوامر والنواهي.

فلما أكمل الدين لهم تمت النعمة عليهم، ولهذا قال تعالى: ﴿ٱلۡيَوۡمَ أَكۡمَلۡتُ لَكُمۡ دِينَكُمۡ وَأَتۡمَمۡتُ عَلَيۡكُمۡ نِعۡمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلۡإِسۡلَٰمَ دِينٗا﴾[المائدة:٣]، أي: فارضوه أنتم لأنفسكم، فإنه الدين

الذي رضيه الله وأحبه وبعث به أفضل رسله الكرام، وأنزل به أشرف كتبه.

قال علي بن أبي طلحة، عن ابن عباس قوله: ﴿ٱلۡيَوۡمَ أَكۡمَلۡتُ لَكُمۡ دِينَكُمۡ﴾: "وهو الإسلام، أخبر الله نبيه ﷺ والمؤمنين أنه أكمل لهم الإيمان، فلا يحتاجون إلى زيادة أبدًا، وقد أتمه الله فلا ينقصه أبدًا، وقد رضيه الله فلا يسخطه أبدًا"".اهـ

قال الشاطبي في «الاعتصام»:

"إِنَّ الله -تعالى- أَنْزَلَ الشَّرِيعَةَ عَلَى رَسُولِهِ ﷺ فِيهَا تِبْيَانُ كُلِّ شَيْءٍ يَحْتَاجُ إِلَيْهِ الْخَلْقُ فِي تَكَالِيفِهِمُ الَّتِي أُمِرُوا بِهَا، وَتَعَبُّدَاتِهِمُ الَّتِي طَوَّقُوهَا فِي أَعْنَاقِهِمْ، وَلَمْ يَمُتْ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ حَتَّى كَمُلَ الدِّينُ بِشَهَادَةِ الله -تعالى- بِذَلِكَ؛ حَيْثُ قَالَ تَعَالَى: ﴿ٱلۡيَوۡمَ أَكۡمَلۡتُ لَكُمۡ دِينَكُمۡ وَأَتۡمَمۡتُ عَلَيۡكُمۡ نِعۡمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلۡإِسۡلَٰمَ دِينٗا﴾[المائدة:٣].

فَكُلُّ مَنْ زَعَمَ أَنَّهُ بَقِيَ فِي الدِّينِ شَيْءٌ لَمْ يَكْمُلْ فَقَدْ كَذَبَ بِقَوْلِهِ: ﴿ٱلۡيَوۡمَ أَكۡمَلۡتُ لَكُمۡ دِينَكُمۡ﴾[المائدة:٣]".ا هـ

وقال في «الاعتصام»:

"فَإِذَا كَانَ كَذَلِكَ، فَالْمُبْتَدِعُ إِنَّمَا مَحْصُولُ قَوْلِهِ بِلِسَانِ حَالِهِ أَوْ مَقَالِهِ: إِنَّ الشَّرِيعَةَ لَمْ تَتِمَّ، وَأَنَّهُ بَقِيَ مِنْهَا أَشْيَاءُ يَجِبُ أَوْ يُسْتَحَبُّ اسْتِدْرَاكُهَا، لِأَنَّهُ لَوْ كَانَ مُعْتَقِدًا لِكَمَالِهَا وَتَمَامِهَا مِنْ كُلِّ وَجْهٍ؛ لَمْ يَبْتَدِعْ، وَلَا اسْتَدْرَكَ عَلَيْهَا.

وَقَائِلُ هَذَا ضَالٌّ عَنِ الصِّرَاطِ الْمُسْتَقِيمِ".ا هـ

❊ كذلك في الحديث فائدة في:

النهي عن ابتداع الأعياد الزمانية والمكانية؛ كعيد الميلاد والمولد النبوي والكريسماس! والعمال والشجرة وغيرها!!

وأن من أفعال أهل الكتاب: اختراع الأعياد وتشريعها دون دليل وبرهان!

قال شيخ الإسلام ابن تيمية في «اقتضاء الصراط المستقيم لمخالفة أصحاب الجحيم»:

"وإنما الغرض: أن اتخاذ هذا اليوم عيدًا محدث لا أصل له، فلم يكن في السلف -لا من أهل البيت ولا من غيرهم- من اتخذ ذلك اليوم عيدًا، حتى يحدث فيه أعمالًا.

إذ الأعياد شريعة من الشرائع، فيجب فيها الاتباع، لا الابتداع...

وكذلك ما يحدثه بعض الناس، إما مضاهاة للنصارى في ميلاد عيسى عليه السلام، وإما محبة للنبي صلى الله عليه وسلم وتعظيمًا.

والله قد يثيبهم على هذه المحبة والاجتهاد، لا على البدع؛ من اتخاذ مولد النبي صلى الله عليه وسلم عيدًا، مع اختلاف الناس في مولده، فإن هذا لم يفعله السلف، مع قيام المقتضي له وعدم المانع منه؛ لو كان خيرًا.

ولو كان هذا خيرًا محضا أو راجحًا لكان السلف رضي الله عنهم أحق به منا، فإنهم كانوا أشد محبة لرسـول الله ﷺ وتعظيمًـا لـه منـا، وهم على الخير أحرص" .ا هـ

نفحات إيمانية عقائدية يستشعرها أهل السنة والجماعة
في ليالي العشر ويوم عرفة (٥)

روى الترمذي في «سننه»: أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ:

«خَيْرُ الدُّعَاءِ: دُعَاءُ يَوْمِ عَرَفَةَ، وَخَيْرُ مَا قُلْتُ أَنَا وَالنَّبِيُّونَ مِنْ قَبْلِي: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، لَهُ الْمُلْكُ وَلَهُ الْحَمْدُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ». (حسنه الألباني).

فيه:

بيان أهمية التوحيد.

وبيان معنى كلمة التوحيد وأنها: لا معبود بحق إلا الله، ونفي الشريك مع الله.

وأن التوحيد ينافي الشرك.

وأن التوحيد: ألوهية وربوبية وأسماء وصفات.

والرد على أهل الشرك والضلال والبدع.

قال المجدد محمد بن عبد الوهاب في «الثلاثة أصول»:

"فدليل الشهادة: قوله تعالى: ﴿ شَهِدَ ٱللَّهُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَأُو۟لُوا۟ ٱلْعِلْمِ قَآئِمًۢا بِٱلْقِسْطِ ۚ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿١٨﴾ ﴾[آل عمران:١٨]، ومعناها: لا معبود بحق إلا الله.

"لا إله": نافيًا لجميع ما يعبد من دون الله.

"إلا الله": مثبتًا العبادة لله وحده لا شريك له في عبادته، كما أنه لا شريك له في ملكه.

وتفسيرها الذي يوضحها قوله تعالى: ﴿ وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِيمُ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِۦٓ إِنَّنِى بَرَآءٌ مِّمَّا تَعْبُدُونَ ﴿٢٦﴾ إِلَّا ٱلَّذِى فَطَرَنِى فَإِنَّهُۥ سَيَهْدِينِ ﴿٢٧﴾ وَجَعَلَهَا كَلِمَةًۢ بَاقِيَةً فِى عَقِبِهِۦ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿٢٨﴾ ﴾[الزُّخرُف:٢٦-٢٨].

وقوله: ﴿ قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ تَعَالَوْا۟ إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَآءٍۭ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا ٱللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِۦ شَيْـًٔا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا

أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِۚ فَإِن تَوَلَّوْاْ فَقُولُواْ ٱشْهَدُواْ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ ﴿٦٤﴾

[آل عمران:٦٤]...

فإذا قيل لك: ما الأصول الثلاثة التي يجب على الإنسان معرفتها؟

فقل: معرفة العبد ربه، ودينه، ونبيه محمدًا ﷺ.

فإذا قيل لك: من ربك؟

فقل: ربي الله؛ الذي رباني وربى جميع العالمين بنعمه، وهو معبودي ليس لي معبود سواه".اهـ

جاء في «تيسير العزيز الحميد في شرح كتاب التوحيد الذي هو حق الله على العبيد» للشيخ سليمان بن عبد الله آل الشيخ:

"ومعنى "لا إله إلا الله"، أي: لا معبود بحق إلا إله واحد، وهو: الله وحده لا شريك له، كما قال تعالى: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِىٓ إِلَيْهِ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعْبُدُونِ ﴿٢٥﴾

[الأنبياء:٢٥]، مع قوله تعالى: ﴿وَلَقَدۡ بَعَثۡنَا فِي كُلِّ أُمَّةٖ رَّسُولًا أَنِ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ وَٱجۡتَنِبُواْ ٱلطَّٰغُوتَ﴾[النحل:٣٦].

فصح أن معنى الإله هو: المعبود، ولهذا لما قال النبي ﷺ لكفار قريش: «قُولُوا: لَا إِلَـهَ إِلَّا اللهُ»، قالوا: ﴿أَجَعَلَ ٱلۡأٓلِهَةَ إِلَٰهٗا وَٰحِدًاۖ إِنَّ هَٰذَا لَشَيۡءٌ عُجَابٞ ٥﴾[ص:٥].

وقال قوم هود: ﴿قَالُوٓاْ أَجِئۡتَنَا لِنَعۡبُدَ ٱللَّهَ وَحۡدَهُۥ وَنَذَرَ مَا كَانَ يَعۡبُدُ ءَابَآؤُنَا﴾[الأعراف:٧٠]، وهو إنما دعاهم إلى "لا إله إلا الله".

فهذا هو معنى لا إله إلا الله، وهو: عبادة الله، وترك عبادة ما سواه، وهو الكفر بالطاغوت، وإيمان بالله.

فتضمنت هذه الكلمة العظيمة: أن ما سوى الله ليس بإله، وأن إلهية ما سواه أبطل الباطل، وإثباتها أظلم الظلم، فلا يستحق العبادة سواه، كما لا تصلح الإلهية لغيره.

فتضمنت: نفي الإلهية عما سواه، وإثباتها له وحده لا شريك له.

وذلك يستلزم الأمر باتخاذه إلهًا وحده، والنهي عن اتخاذ غيره معه إلهًا.

وهذا يفهمه المخاطب من هذا النفي والإثبات، كما إذا رأيت رجلًا يستفتي أو يستشهد من ليس أهلًا لذلك، ويدع مَنْ هو أهل له، فتقول: هذا ليس بمفت ولا شاهد، المفتي فلان، والشاهد فلان، فإن هذا أمر منه ونهي.

وقد دخل في الإلهية جميع أنواع العبادة الصادرة عن تأله القلب لله بالحب والخضوع والانقياد له وحده لا شريك له، فيجب إفراد الله -تعالى- بها؛ كالدعاء والخوف والمحبة، والتوكل والإنابة، والتوبة، والذبح، والنذر، والسجود، وجميع أنواع العبادة.

فيجب صرف جميع ذلك لله وحده لا شريك له، فمن صرف شيئًا مما لا يصلح إلا لله من العبادات لغير الله؛ فهو مشرك، ولو نطـق بــ: لا إلـه إلا الله، إذ لم يعمـل بمـا تقتـضيه مـن التوحيـد والإخلاص".اهـ

✍ م. منتصر بيبرس